

علم الإكتناه وبيبلوغرافية المخطوطات

طالبة الماجستير وفاق طالب محسن الهدابي

كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة فردوسي مشهد - إيران

zhraa0345@gmail.com

الدكتور حسين ناظري

أستاذ في كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة فردوسي مشهد - إيران

nazeri@um.ac.ir

Underlying and Bibliographic of manuscripts

Wifaq Talib Al-Hdabi

**MSc student, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of
Letters and Humanities, Ferdowsi University of Mashhad**

Hossain Nazeri

**Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty
of Letters and Humanities, Ferdowsi University of Mashhad**

Abstract:

It is true that life is renewed and renewed is the secret of existence, It is true that existence, if it is absent from renewal, is dead. But, the past also has its fragrant, vital, and presence in it, and what needs to be renewed only to lead a second life. And so as not to stagnate and disappear, this study aims to renew heritage, and get acquainted with the science of acquisitions and the topography of the manuscript and their impact on enriching the scientific and cultural scene. This concept provides an opportunity to reveal a creative symmetry in the various sciences and arts, between past ages and current reality. The study proved that the Arab-Islamic heritage is a rich and rug carpet, woven with generous hands and ideas, emptied its energy, culture and literature in it, and all these creative slides deserve our pride and honor.

The investigation is a journey and a passport for the past that the investigator takes to carry us creative and aesthetic energy from erupted times that were flowering with its creators, to pour it into the eyes of creativity and contemporary awareness, and introduce us to how many life pictures in ancient times. This study emphasized that heritage - and linguistic heritage in particular - is part of the memory of nations and individuals, but rather a pillar of the general cultural presence, and its effect is effective in us and in it, as it reduces the coordinates of time and space between past and future generations, and benefits from the experiences of the past. So, many experience, science and creativity, are forgotten if not for the reliance on the heritage of the ancestors, because it is through it that we can understand the relationships between what was and what is.

Key words : Heritage , bibliography , acquisitvity , codecology, philosophy

الملخص :

صحيح أن الحياة تجدد، والتجدد سر الوجود، وصحيح أن الوجود لو غاسسحب عنه التجدد فارق الحياة، لكن الماضي أيضا له عقبه وحيوته ووجوده الكائن فيه، وما يحتاجه تجدد فقط ليحيا حياة ثانية، ولكيلا يهمد ويندثر، تهدف هذه الدراسة إلى تجديد التراث، والتعرف على علم الاكتناه وبيبلوغرافية المخطوط وأثرهما في إثراء الساحة العلمية والثقافية، يتيح هذا المفهوم بما هو علم وفن فرصة الكشف عن تماثل إبداعي في شتى العلوم والفنون، بين سالف العصور وبين الواقع الحالي، وأثبتت الدراسة أن التراث العربي الإسلامي عبارة عن بساط زاه ثري، نسجته أيد وأفكار مبدعة معطاء، أفرغت طاقتها وثقافتها وأدبها فيه، وكل تلك القرائح المبدعة تستحق منا الإعزاز والإكرام، فكأن من تجربة وعلم وإبداع هما طي للنسيان لولا المعول على تراث الأجداد، إذ من خلاله يمكن فهم العلائق بين ما كان وما يكون، وللعرب المشرقين يعزى فضل إنجاب المبدعين في شتى المجالات، ولهم قصب السبق للإنتاج الإبداعي، فهم أمة ولود متنورة خلقت أعظم الهامات، وأسست أهم العلوم كذلك الفنون، وهذا ما يثير فينا الإعجاب والتقصي لدراسته، والناظر لمسار اللغة العربية وأثر مواقع وقنوات التواصل الثقافي (والتكنولوجيا) الحديثة يرى بجلاء الخطر الماحق، والمصير المرعب الذي قد تحدر إليه ثقافتنا، الذي يجعل مصيبتنا في تراثنا ولغتنا تتصاغر دونها كل مصيبة، ولا بد إذا من تضافر جهود الغيارى على التراث الثقافي والديني واللغوي، فيعمدون لإحياء الكتب الصفراء الغنية المغمورة، والاهتمام بها، ففيها علم وفن زاخران، هذا وقد اعتمدنا المنهج الوصفي وهو ما يناسبنا في بيان أهمية التحقيق في رفد الثقافة، وأبنا مدى تأثير عمل المحقق سلبا وإيجابا في إثراء التراث.

الكلمات المفتاحية : التراث - البيبلوغرافيا - علم الإكتناه - الكوديكولوجيا - الفيلولوجيا .

١- المقدمة:

تعدّ الأمة العربيّة من أثرى الأمم حضاريّاً وفكريّاً وعلميّاً خاصّة في عصورها الذهبيّة التي تميّزت بالتسابق العلميّ من قبل العلماء والأدباء إبان العصرين العباسيّ والمملوكيّ المعروف بعصر الموسوعات العلميّة الضخمة، فلدى إبنائها رصيد تصعب الإحاطة به، فالفكرون والمثقفون العرب والمسلمون لم تتوقف أقلامهم، ولم تحف قرائحهم، ولم تجمد أفكارهم من العلم والإبداع، وتشهد على ذلك مكتبات العالم التي تزخر بأعداد هائلة من مخطوطات أجدادنا، فلو تصفحنا مقتنيات أية مكتبة من مكتبات العالم سنجد ولا ريب قسماً للمخطوطات الإسلامية في شتى العلوم.

وفي الوقت الذي تحظى فيه المخطوطات قبولا؛ كونها ذخائراً ونفائساً، تحظى أيضاً بإقبال على تحقيقها وتوثيقها؛ فتحقيق التراث رسالة وليست وظيفة، وقلماً نجد الآن مؤسسة أو مركزاً ثقافياً لا يعتمد المخطوطات مصدراً من مصادره، لأنها تمثل قيمة علميّة وتراثيّة ومعيّار لثقافة الأمم، وإبداع عقول أبنائها التي أنتجتها، وحرص الأيدي التي حفظتها، فمن غريب القول: أن يسبق المستشرقون العرب في تحقيق المخطوطات العربيّة والإسلاميّة ودراستها! ومن الغريب أيضاً أن يبقى عدد غير قليل منها مندثراً ومركوناً في ثنایا المكتبات وعلى رفوفها، ومتناثراً في شتى أمصار العالم!

لقد عكفت الأمم وفي خضم هذه الأمواج المتسارعة علمياً و(تكنولوجياً)، والمتسابقة ثقافياً إلى إبراز علومها وإظهار كنوزها المعرفيّة، والتّمايز في فنونها وآدابها، وعلى إثر ذلك وعّت الأمة الإسلاميّة والعربيّة أن أصلاتها ترتبط بتراثها فنهضت لإحيائه، فالأولون متفضلون علينا، فقد قدموا زهرة أعمارهم وعصارة أفكارهم فيما دونوه لنا، فلو لم يكن جلجامش لما عرفنا شيئاً من تاريخنا القديم، ولو لم يكن هناك مؤرخون لما وصلتنا حوادث الأولين، ولو لم يكن هناك شعراء وعلماء ومبدعون وثقوا ما كتبوا؛ لما عرفنا شيئاً اسمه علم وشعر وفن وإبداع، فتظلّ الأمم حيّة مادامت مهتمة بما دون من تراثها وإبداعها، فالتراث هو الثروة الحقيقيّة التي تنضب كلّ الثورات وهي باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والمبدعون هم عماد تلك الثروة الذين تميزوا، وأبدعوا، ودونوا، فذهبوا، وتركوا آثارهم المعطاء، وما علينا إلا أن نصوره بأجمل صورة عرفانا وامتنانا لهم، وازدهاره بالوجه الجميل الذي يليق بنا ويستحقه، والوقوف على حيثياته"

الإيمان بالتراث، والعمل على إحيائه ودراسته بروح علمية متزنة هو مظهر من مظاهر الإيمان بالأمة" (عباس: ١٦٩، ٢٠١٧).

إن مفهوم التراث الثقافي لا يقتصر على الآثار العمرانية والمقتنيات التراثية والتحف المادية، كذلك هو من فكر إنساني متمثل بالطقوس والممارسات الحية والتقاليد الاجتماعية والفنية، فكان لابد لهذا من أن يؤثر، ويؤتى أكله، فانبرى المسلمون والعرب، وتحشّم المثقفون والمخلصون للاهتمام بالتراث الإبداعي، وازدهرت أهمية المخطوطات عامة والأدبية بشكل خاص، إذ لم تعد مجرد نصوص ذات عمق تأريخي وتراثي، بل صارت تحمل دلالات معرفية حيوية، ومحطات تقدمية، نستقي منها مفاهيم إيجابية وإبداعات فنية ووجدانية، تؤكد لنا عظمة ما تركه أجدادنا المتنورون، ولو لم تكن كذلك، فلم نحقق المخطوطات إذا "يعتبر التراث العربي واحدا من كنوز الحضارات الإنسانية الشاخنة، فهو تراث عريق ممتد الجذور، وحين بزغ فجر الإسلام على الجزيرة العربية نما وكشفه للعالم" (العلي: ٥، ٢٠١٤).

تعتبر المخطوطات نوافذ في عالم وحياة نفتحها لنطل عبرها على عالم وحياة آخرين، نوافذ نفتحها؛ لنكون إزاء عالم ماضٍ لم نره، وحياة لم نعشها بل عاشها آخرون، فنتفكر فيه ونستكشفه مرة، ومرة لنبني عالما الجديد المقام والمستند على أساس قويّ متين، والنوافذ هذه لا تفتح نفسها بنفسها، بل تحتاج لمن يفتحها لنفسه وللآخرين، فأهمية التحقيق تأتي أولا: لإدراك الإبداع الحضاري والثقافي، وثانيا: لإعادة فهم ذواتنا والآخر، فنكون في مساحة تصل ما بين التّفاخر والبناء، من خلال فهم عظمة تراثنا، يقول جيته وكان مغرما بالشرق وتراثه "رائع هو الشرق القائم خلف الحوض المتوسط، الشرق الطاهر الصّافي حيث ظهر الهداة والانبياء، حيث الحبّ والشرب والغناء، هناك يستطيع الإنسان أن يعود شابا من جديد" (ندا: ٢٦٤، ١٩٩١).

لدينا تاريخ حافل بالمهارات والإبداع، أوراق صفراء جاهزة للتحقيق والاطلاع، شرفات مضيئة توصل حاضرتنا بماضيها، وأصحابها مبدعون كائنون في عمق مجتمعاتهم التي خلّت، فالكشف عن إبداعهم من خلال تحقيق ودراسة مخطوطاتهم سينتج نورا، ويضيف رافدا يصب في معين العلم والمعرفة الآنية، فالولوج في عالم المخطوطات يسهم لما فيه من إثراء في بناء الإنسان ثقافيا ومعرفيا، ولأن المخطوطات عامة والأدبية بشكل

خاصّ ذات بُعد أبداعيّ وتنويريّ وجماليّ وفنيّ، فهي لاريب تستحقّ التّقيب والدراسة" تشمل المخطوطات العربية والإسلامية تراث حقبة زمنيّة طويلة تزيد على أربعة عشر قرناً، تنافس على تأليفها ونسخها ألوف من العلماء والوراقين طوال هذه المتعاقبة، حتى بلغ ما صنّفوه في فنون المعرفة ما يزيد على أربعة ملايين مخطوطة منشورة في مختلف بقاع العالم" (طوهارة: ٢، ٢٠١٧).

٢.١ إشكالية البحث:

ليس الغرض من البحث الإشارة إلى اختلاف أهل العلم في ماهية علم الاكتناه الذي أسس له المؤرخ قاسم السامرائي ❖ و(بلوغرافية) المخطوطات، وسيأتي التعريف بهما، حيث الأول علم إسلامي، والثاني مصطلح غربي، إنّما الغاية هي عملية بلوغرافية المخطوطات برمتها من خلال هذين المسمّين الداخلين فيها، والذي كان بادئ ذي بدء فنّ من الفنون؛ لخلوه من القواعد والأصول، ثم تكور كما تطورت بعض العلوم وتحولت إلى فنون، فتطور التّحقيق أسوة، كالموسيقى مثلاً، فهي فنّ من حيث أنّه فنّ منضبط بقواعد وأصول، كذلك التّحقيق: فنّ منضبط بقواعد وأصول أيضاً، ومهما يكن الأمر هذا أو ذاك فما يعيننا: هل أنّ المخطوط مجرد كتاب خط باليد، ويحمل مسألة علمية أو تقنيّة فنيّة ومؤطر بقواعد وأصول، أم أنّ المخطوط كتاب ذو قيمة تراثية وثقافية ويحمل إفادة جوهرية ومعنوية، وإنّ عملية تحقيقه عملية إنتاجيّة توعويّة ذات معطيات إيجابيّة؟ وما الغاية من تحقيق المخطوطات أولاً" لقد أدرك محبّو التراث قيمة التّحقيق وأهميته في كشف الزائف من النصوص وتصحيح الروايات، للوصول إلى إخراج النصوص سليمة من كل عيب، وهو يلقي الضوء على جهد القدماء في المجالات المختلفة بالدراسة الموضوعية" (الجراخ: ٤، ٢٠١٠)

وليس المراد التّعرض للاختلاف في نسبة التّحقيق أهو علم من العلوم الإسلاميّة أم هو علم أوروبي النشأة؟ وفي هذا يؤكد العلماء أنّه علم إسلاميّ خبا وتعثر به المسلمون كما تعثروا في غيره من العلوم، في حين تفوقت أوروبا في مجالات عديدة ومنها علم تحقيق المخطوطات، ومهما يكن الأمر غايتنا منه عمليّة تحقيق النصوص نفسها، وكيف تكون عمليّة هادفة ومثمرة علمياً، والحديث عن شروطها وأصولها، التي يتوجب على

المحقق أتباعها بحيث يجني العرب والمسلمون وأهل المعرفة ثمارا ناضجة جراء ما قاموا به في مجال تحقيق التراث.

ولا المراد كذلك من ذلك الخوض في اختلاف وجهات النظر في التسميات، فيما لو تصفحنا كتب التحقيق المعتبرة، لوجدنا المحققين يتداولون عدة مصطلحات لذلك الكتاب المكتوب باليد ألا وهي: النص والمخطوط والتراث، ربما أشملها هو التراث لكن الثلاثة لا اختلاف بينها، فالنص يعني: أصل كلام المؤلف، والتراث يعني: ما وصل إلينا من نص كتب في عصر مضى، والمخطوط يعني: ما خط بيد المؤلف، ومهما تكن التسميات التي يطلقها المحققون على تلك المقطوعة المكتوبة بخط اليد والآية من قلب وعمق الماضي ب (النص، المخطوط، التراث) ولا بون معنوي شاسع بينها، إلا أن الأهمية تكمن في العمل عليها، وتحقيقها حرفياً ومهنيّاً لأنها وعاء لخبرة الماضين، وستطلعنا على حياتهم وأخلاقهم وتجاربهم، لذا فالغاية من تحقيق المخطوطات " هو تقديم المخطوط صحيحاً كما وضعه مؤلفه" (المنجد: ١٥، ١٩٨٧)

٣.١ هدف البحث:

تهدف المقالة وقبل كل شيء التعريف بعلم الاكتناه وبلوغرافية المخطوطات وكيفية القيام بهذه العملية، وقد استأثر هذا الموضوع بمكانة في الأوساط العلمية، فعلاً كعبه وزادت قيمته، فعلم الاكتناه تقنية تعبر عن وعي متقدم لجوهر الأشياء، وفهم دقيق للتراث بكونه موجوداً لغوياً قائماً بنفسه، فهو يحمل خصوصية وتفرد وقراءته تتيح لنا الانفتاح على المعارف والآداب القديمة، وضرورة الإفادة منها وربطها بمستجدات العلوم والآداب الحديثة، وعليه راقنا الولوج في عالمه وشدنا الترحال، والوقوف على حيثيات هذا العلم وفنونه، في كيفية انتقاء المخطوط وأنى يكون الكشف عنه، والتعرف عن كتب على المراحل التي يمر بها حتى يكتمل كتاباً مطبوعاً متداولاً، وكثيرون مثلي يشدهم السفر إلى الماضي لمعرفة ماهية المخطوط؟ وماهي الخطوات المتبعة في تحقيق مخطوط؟ وماهي الشروط العامة الواجب توفرها في المحقق؟ وماهي مراحل توثيق المخطوط ليغدو كتاباً؟ وخلال كل هذا نتعرف على أنواع المخطوط والأدوات والأقلام والجلود، وكيف يتم تحويل المخطوطات إلى كتب مطبوعة، والغاية الماثلة وراء كل هذا: النفع والمتعة

المجتناة من التجوال بين ثنايا الماضي، والتعرف على مبدعيه، كما وتهدف هذه المقالة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات مارة الذكر المتعلقة بالمخطوطات وعملية تحقيقها.

٤-١ منهجية البحث

يرتكز منهج مقالتنا العلمية هذه على المنهج الوصفي التحليلي، المتمثل بجمع المعطيات والبيانات ذات العلاقة بالموضوع - التعريف بعلم الإكتناه وأهميته، والتعرف على تقنية بلوغرافية المخطوطات وما شروطها- والقيام بتحليل النتائج التي توصلنا إليها، ولأنه المنهج المناسب لطبيعة الكشف عن المخطوطة ووصفها من الألف إلى الياء، ومن تحديدها كتاب مخطوط الى تحويلها لكتاب مطبوع، وتفسير دقائقها ومحتواها، والتعريف بحياة مؤلفها شاعرا كان أم كاتباً أم عالماً، والإحاطة بجميع شروط القائم(المحقق) بهذه العملية بخطوات مدروسة.

٥-١ فرضيات البحث:

إذا دققنا جيداً في مفهوم الإكتناه لوجدناه يعني كنه الشيء وجوهره، والمخطوط جوهر ومظهر، أما مفهوم بلوغرافية المخطوطات فيتحدث عن كيفية نسخ كتاب كتب بخط اليد في زمن مضى، كانت فيه الآلات والأدوات مختلفة، وكذلك طبيعة الكتابة بالنسبة لنوع الخط والمداد والورق، وقواعد الأملاء واختلاف منهجية الكتابة فيما سبق عما هو الآن، فكيف لنا أن ننسخ هذا الكتاب اليدوي لنظهره مؤلفاً حديثاً ومطبوعاً في متناول المرادين؟ حتما ستكون العملية ليست سهلة وتحتاج الى وقت وجهد بالغين في انتقاء المخطوط، ومعرفة الطرق التي توصلنا إليه، وأيضا خبرة كبيرة في اختياره وتحديد مدى أهميته، وتوفير جميع الحسنات والمشجعات فيه للقيام بعملية نسخه وإخراجه للوجود، كوضوح الخط وتمازج أوراقه وعدم تلف أجزاء منها وطمس كلماته.

ثم أن المخطوطات مختلفة بحسب العلوم التي تتناولها، علمية ودينية وأدبية والى غير ذلك، وثمة فارق بين تحقيق ذين وذين، وإن عملية بلوغرافية المخطوطات تحتاج لخبرة مهما كان نوع المخطوط، إلا أن المخطوطة العلمية أخطر لأنها تحتاج لمعرفة علمية بما تحتويه، والمخطوطة الأدبية خاصة الشعرية يحتاج المحقق فيها لخبرة ووقت أطول، ولمعرفة بعلم العروض، ومقاسات الشعر من حيث الوزن والقافية للاستدلال على شعرية

وأسلوب الشاعر، أم لا حاجة لتلك الخبرة فكل باحث مهما كانت خبرته قادر على القيام ببلوغرافية المخطوطات.

البرنامج وفن التنظيم ضرورة لنجاح أي عمل حياتي كان أو علمي؛ وبالنسبة للباحث هو طريق وتخطيط يسلكه في استقصاء المعلومات بحسب معايير وتقنيات ووسائل يتبعها ثم يرتبها ليصل الى غايته المنشودة، وللنتيجة المرجوة من دراسته لحقيقة ما، فهل لعملية ببلوغرافية المخطوطات منهج، وهل هناك خطوات خاصة فيه وثابتة ينتهجها المحقق في إداء عمله؟ إن كان المنهج مسلك واضح لتمهيد طريق لأي عمل مهما كان، فجدير بالمحقق أن يكون عمله ممنهجا ومنظما حسب أسس ثابتة وخطوات مدروسة يتبعها في عمله ليصل لنتيجة طيبة معلومة، أو الأمر في تحقيق التراث مختلف ولا يستحق هذا العناء وتلك السلسلة الطويلة من الشروط والأنظمة للقيام بهذا العمل.

١٠ هـ دواعي اختيار البحث:

حديثا استأثر موضوع الاكتناه وبلوغرافية المخطوطات العربية والإسلامية بنصيب وافر، ولا يستهان به من قبل المشاركة والمغاربة، ولأنّ عملية ببلوغرافية المخطوطات هي بمثابة إحياء ميت من البلى، وإعادة الروح والحيوية لمؤلف طوته يد النسيان والماضي، ولا سبيل لإحيائه إلا عن طريق هذه العملية حيث يوضع في دائرة التشريح، يُعمل عليه ويُجتهد فيه، ومن ثم يخرج لعالم الضوء والنور؛ ليتنفع منه من يشاء من طلبة العلم والمثقفين، يتوجب علينا المشاركة في هذا العمل، لأننا نحسن الظنّ بجهود أجدانا وعلمائنا الأولين الأفاضل، واسهاما منا واعترافا بفضلهم، ومجازاتهم على جهودهم، وفي خضم هذا التسابق العلمي العالمي لإظهار علومنا، ورغبة في المشاركة لوضع مبادئ هذا العلم على خريطة التكنولوجيا وشبكة المعلومات للإفادة منها أولا، وللحفاظ على تراثنا وقدسيتها ثانيا، وبثّ الروح للغة العربية التي تُسحر ببيانها ومعانيها وألفاظها والتي تتجاذبها أهواء الجيل الجديد، وميله للغات الأخرى وهي اللغة المقدسة المعطاء" لقد تضوّأت هذه اللغة الشريفة على ألسنة الشعراء والخطباء شعرا شجي النغم ونثرا حلو الوقع، فيما بقي لنا من الجاهلية، ثم كان مجلى هذه اللغة العزيزة كلام ربنا- عز وجل- بما نزل به جبريل الأمين على خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله - ص وآله - في هذا البيان الذي لا يطاوله بيان ثم ألقى ربنا تباركت اسماءه على لسان المصطفى بيانا عاليا آخر هو ما

نطق به - ص وآله - من جوامع الكلم فصاحة صافية المورد وبلاغة عذبة المشرع ومنطقا صائب الحجة" (الطناحي: ١١١، ٢٠١٤).

٦-١ هيكل البحث:

طبيعة الموضوع بسعته، ودخوله في دائرة الحاضر المسافر الى الماضي البعيد عن طريق تحقيق المخطوطات، وبالضبط نضعه في خانة المخطوطات الثقافية الأدبية، فرضت علينا التعريف ولو بما توفر من مساحة وبساطة لهذين المفهومين - علم الاكتناه وبلوغرافية المخطوطات - اللذين هما موضوع بحثنا، فالدراسة هذه تقع في ثلاثة مباحث قدمنا لها بملخص ومقدمة وتتعقبهما نتائج متحصلة، المبحث الأول خاص بالمخطوط واكتناؤه ومهمة اختياره، والمبحث الثاني في عملية بلوغرافية المخطوط و، والمبحث الثالث في القائم على العمل (المحقق) والشروط الواجب توفرها فيه.

٧-١ خلفية البحث:

للتاريخ اهمية أخرى فهو من الأمة بمثابة المرآة يبصر فيها الإنسان ما قطعت أمته من أشواط السبق مع الأمم الأخرى في الماضي، وما طرأ عليها من تطورات وحوادث، كما أنه درس نتعلم منه كيف نعد للمستقبل عدتنا مع اتقاء مواطن الزلل، واجتنب العثرات، ومن هنا كانت دراسة التاريخ حافزا للهمم، ولن تجد أمة ضربت بسهم في المدنية والحضارة إلا وهي منكبة على دراسة تاريخها جيلا بعد جيل فالاهتمام بالتاريخ في أمة من الأمم لهو دليل على رقيها ونهضتها وحيويتها، وهو باعث لهمة أبنائها، فكيف توصلت لذلك التاريخ؟ وكيف تعرفت على ما تركه الأجداد؟ أليس عن طريق المخطوطات، أو عن طريق الكتب المقدسة والأساطير والألواح الأثرية التي تركها الماضون والتي هي أيضا مخطوطات، فلا يجب أن يستهان بالمخطوطات وبما تحملها فهي ضالتنا لمعرفة تاريخ أجدادنا" مركز التاريخ مهم بين العلوم الثقافية فالاهتمام به إنما اهتمام بتركة الإنسان وآثار لجهده الإنساني" (صفوت: ١٩٤٣، ٤٩٩).

معروف للقاصي والداني ما تعرض له تاريخنا العلمي من شتات نتيجة للأوضاع السياسية والنكبات التي مني بها العرب والمسلمون، وهناك أزمات عصيبة ضيَّع فيها تراثنا الكُتبي ربّما أشدها ما رمي بنهر دجلة من مخطوطات وكنوز العلوم إثر هجمة المغول على بغداد (٦٥٦هـ).

والأخرى عند سقوط غرناطة اذ أحرقت عشرات الألوف من الكتب على يد الاسبان عام (٨٩٢ هـ) ولو لم يدركوا قيمتها لما أحرقوها وأغرقوها واستغلوا أوقات المجاعات واشتروها بأبخس الأثمان، ولم يكتفوا بذلك بل التفتوا لما بقي من مخطوطات فصبوا عليها جهدهم بطرق ملتوية فقاموا بتحقيقها، وكان عملهم مشوبا بأخطاء جمّة وتدليس عدا المستشرقون الألمان لأنهم لم يستعمروا البلدان العربية "لقد نال التراث العربي المخطوط نصيبه من هجمة المستشرقين، عليه وكان الهدف من جمعهم المخطوطات - خاصة الفرنسيين - أن يتعرفوا أخلاق الشرقيين وعاداتهم وتقاليدهم وما لهم من معارف وثقافات، فاتجهوا لجمع اعداد من المخطوطات وقد جند لهذا الغرض رهبان ومبشرون وتجار وجواسيس ودبلوماسيون وسفراء في العالم العربي ورحالة وسواح" (عبد الله: ٦، ٢٠١٤).

والغاية معروفة هي أحكام السيطرة على المسلمين والشرق، فلو لم يكن تاريخ المسلمين زاخرا ثريا لما توجهت أنظار و الغربيين نحوه، واهتمامهم به والأولى اهتمام العرب به؛ فبتحقيقه وكشفه تظهر تلك الكنوز التي تركها المبدعون وهم يؤرخون مسيرة النهضة، ويركزون على الأفكار المفيدة التي تظل حاضرة مشعة" ففي منتصف القرن التاسع عشر قام المستشرقون بإنشاء جمعيات للدراسات الاستشرافية، في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا فتأسست أولا الجمعية الآسيوية في باريس سنة (١٨٢٢) ثم في عام (١٨٤٢) الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وايرلندا سنة (١٨٤٥) والجمعية الشرقية الأمريكية (١٨٤٢) والجمعية الشرقية الألمانية (١٨٤٥) وأول مجلة استشرافية صدرها في فيينا باسم ينابيع الشرق في (١٨٠٩-١٨١٨) " (نفسه: ٥، ٢٠١٤).

لا يسعنا المجال لذكر جميع المجالات والمؤسسات والمؤتمرات، ولا يمكننا بعد التكرار والتأكيد على فكرة أننا أغنياء بتراثنا والغرب يحاول النيل منه ومنا عن طريق نسخ المخطوطات وترجمة التراث والقيام بدراسته حقيقة مرة وتدليسا مرات، ولا بد من أن نشير إلى أن "الاستشراق تأسس بوصفه مؤسسة فكرية بعد أن فشلت الحروب الصليبية، إذ تعززت قناعة رجال السياسة والكنيسة في الغرب لأن العالم الإسلامي لا يمكن إخضاعه بالقوة فلجؤوا الى أسلوب دراسة أحوال المسلمين" (نفسه: ٥، ٢٠١٤).

٣- الإطار النظري للبحث: ما دمنا بصدد دراسة المخطوطات، فلا أهم من التعريف بالعلم الذي يقوم بدراستها غير علم تحقيق المخطوطات الرئيس فلا غنى لنا عنه لكننا أردنا التنبيه على مسمى آخر جديد ألا وهو علم الاكتناه ❖ فما الاكتناه؟ وما أقسامه؟ وما أهميته نظريا وتطبيقيا؟

المعنى اللغوي: الاكتناه: كُنْه، اكْتَنَه، اكْتِنَاهُ عَمَّقَ الموضوع: سَبَرُ غوره، التعمق فيه، واكتناه فكرة: استيعابها، بلوغ جوهرها وحقيقتها (المعجم الغني).

الكُنْه: جوهر الشيء وحقيقته، غايته ونهايته، يقال بلغت كُنْه هذا الأمر، وأعرفه كُنْه المعرفة، والكنه قدره (المعجم الوسيط)، يقال فعل فوق كُنْه استحقاقه.

كنه: حقيقة الشيء وجوهره (كنه الموضوع)، كنه: وجه الشيء وغايته، كنه: قدر الشيء، كنه: وقت مناسبة كلام في غير كنهه (معجم اللغة العربية المعاصرة).

أما المعنى الاصطلاحي له "هو العلم المختص باستنباط المعرفة، واستقراء دقائقها على ضوء المعرفة التي اكتسبها الباحث بالمران والدربة، وبالدراسة والتدريب، ؟أي: يتطلب دربة الآثار، ومران المحقق الثبت، وخبرة المفهرس النابه الفطن لأن الصعوبات التي تعترض الخبير في قراءة الخط، وفك طلاسمه هي أهون بكثير من حل المعضلات في توريخ (الكاغد) والمداد أو الخبر وطرز الخط والتجليد، والمحقق والمفهرس لا يستغنيان عن المعرفة الواسعة بشتى العلوم اللغوية والدواوين والتاريخ والشرعية التي قد لا تتوفر في المحقق (السامرائي: ٢٠، ٢٠٠٢).

وعلاقة هذا العلم بدراسة المخطوطات واضحة، فبالعودة الى المعنى اللغوي والاصطلاحي لمعنى الاكتناه نجده قريبا لما يعمل عليه المحقق نظريا في سبر غور مخطوطة ما، أو معرفة كنهها وكنه كل محتوياتها بدءا بالمضمون وفيما أراده الكاتب أو الشاعر من قصد، وتطبيقيا يقتضي التعمق والتبحر فيما احتواه المخطوط موضوعا وجوهرها ومضمونها من الغلاف الى الغلاف، فالباحث في مجال المخطوطات يكتنه الأشياء الموجودة، يتعرف عليها، يستنبط الأحكام منها، ومن أهم ما يمكن سبر غوره ودراسته في المخطوطة هو خطها وتاريخه ونوعه، وعلم الاكتناه "يعنى بالخط العربي وأشكاله وأنماطه وتحليله ومقارنته بالمخطوط التي سبقته" (نفسه: ٢٢).

وهذا العلم أوسع مما يُتصور ويقع تحته أقسام كثيرة وأنواع من بينها فنيّ (البلوغرافية والكوديكولوجيا) وسيأتي الحديث عنهما مفصلاً في المباحث، وحبذا التقديم لهما:

(البلوغرافية) مصطلح اغريقي مركب من لفظتين الأولى (بيليون) وتعني كتيب، والثانية (غرافيا) وتعني النسخ والكتابة، فتكون الكلمة كلها تعني كتابة الكتب أو نسخ الكتب، وتطور معناها عبر العصور لتصبح دلالتها قائمة بالكتب المستخدمة في بحث ما، وقد أصبح طريقة علمية ضرورية للتحكم في الإنتاج العلمي، وأداة ضرورية لكل باحث في كل مجالات المعرفة لاسيما علم تحقيق المخطوطات "إن (البلوغرافية) تعني قديما كتابة الكتب أي النساخة، و(البلوغرافي) هو الناسخ وقد تطور مدلول الكلمة في القرن ترتيب منسق ومنهج معين" (نفسه: ٢٢٦، ٢٠٠٤).

و(البلوغرافية) أنواع كثيرة، وما يهمنا في دراستنا هذه نوعان أحدهما: يختص بتحليل ووصف الكتاب، والآخر يختص بتكوين الفهرست أو الكتب التي تفهرس تحت موضوع واحد "البلوغرافيا التحليلية وتهدف الى الفحص العلمي الدقيق للكتاب - المخطوط - ومنها الوصفية التي تهدف الى تقييم ونقد الكتب، و(البلوغرافية) النسقية أو المنهجية التي تعتمد مجموعة من القواعد لوضع قائمة منتظمة لمجموعة من الكتب تجمعها بعض الصفات المشتركة ويحكمها ترتيب منسق ومنهج معين" (نفسه: ٢٢٦).

وتجدر الإشارة الى أن أول من فتح باب (البلوغرافية) في العصر الحديث صاحب كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون وهو كتاب موسوعي (بلوغرافي) جمع فيه الكاتب المؤلفات الثقافية العربية والفارسية والتركية المكتوبة والمطبوعة في القرن التاسع عشر فانتقل هذا الفن من كتابة الكتب الى الكتابة عن الكتب، أما في مجال الفهارس فكان السبق لكتاب الفهرست المعروف وفكرته تقوم على "منهج الكاتب ونظامه في قائمة محتويات الكتاب في عشر مقالات تختص كل منها بموضوع معين، فمقالة في لغات الأمم، وأخرى في النحويين واللغويين، وأخرى للشعر والشعراء، أخرى للكلام والمتكلمين وهكذا" (عبد الحكيم: ٢٠١٢).

والثاني (الكوديكولوجيا) وهو علم دراسة المخطوطات، وهي مكونة من لفظتين الأولى (لوغوس) والثانية (كودكس) ويعنيان علم الكتاب، وما زال هذا في العلم في

أوليائه في دراسة المخطوط العربي لأنه ركز جهوده على دراسة المكتبات والموسوعات وتاريخها، ثم تطور ليهتم بالشكل المادي للمخطوط، على الرغم من الجهود التي يقودها الباحثين في هذا المجال، فالدراسة المخطوطية مقتصرة تقريبا على متون المخطوطات ليس أكثر، فهو "دراسة الكتاب المخطوط أو صناعته، بما في ذلك صناعة الأحبار، وفن التوريق أو النساخة، والتجليد والتذهيب وصناعة الرقوق، والكاغد وما يتبعه كل ذلك من فنون وما يتصل بها مثل حجم الكراسة ونظام الترقيم، والتعقيبات والسماعات والاجازات والمقابلات وتقنيات التملك، وتقيدات الوقف وما يظهر في نهاية المخطوطة" (الحفيان: ٢٠٠٢).

بالإضافة الى أن الدراسة (الكوديكلوجية) تختص بدراسة المخطوط من ناحية الشكل، كالورق والمداد والخط والتذهيب والزخرفة وما الى ذلك، فهي تهدف الى أمرين اثنين من ذلك، الأول دراسة كل أثر للكتابة في المخطوط باستثناء المتن أو النص، ويبحث في مصادر وتاريخ المخطوطات والوقفيات والحواشي والتفسيرات والاضافات وكل ما من شأنه التعريف بالمخطوط وبصاحبه وتاريخه وبكل ماله علاقة بالمحيط التاريخي والجغرافي للمخطوط، والثاني: البحث في العناصر المادية للمخطوط أي كل ما هو خارج عن النص ونقصد به الوعاء وطريقة صناعته وتركيبه كالبحث في نوع الجلد والورق وغيرها من الجوانب المادية والتقنية" (شقرة: ٤٣، ٢٠٠٧).

والحقيقة أن الدراسة للمخطوطات مجدية بكلا النوعين حيث تجتمع المنفعة فمن خلال عملية انتقاء المخطوطات الجيدة والهادفة للتحقيق يكتسب القارئ "العقائد، والقناعات، والمعايير، والأنماط، والقوالب المشكلة لدى القارئ من خلال ما أشبع به من مفاهيم، وما جهز به من أنماط معرفية، وجمالية، والتموضع الاجتماعي والثقافي والديني والأخلاقي، كل ذلك يلعب دورا أساسيا في هذه العملية فهمه المتأثر ببيئته وأسلوب الحياة الحديثة البعيدة عن حضارتنا وعلومنا، مع مجارة الذوق الحديث في إخراج الكتب وتنظيمها" (الردادي، ٢٠١٣: ٦٧).

هناك أمر آخر نود الإشارة إليه وهو أن النص التراثي حفت به مصطلحات دراسية كثيرة غير ما سلف، ومنها (الفيلولوجيا) ومعناه: دراسة النصوص القديمة، وهو أيضا مكون من لفظتين الأولى: (فيلوس) وتعني الصديق والأخرى (لوكوز) وتعني الكلام أو

الخطاب، وهو بهذا يقترب من علم فقه اللغة عند العرب، والمعنيون في علم المخطوطات انقسموا على أنفسهم في دراسة المخطوطات كل بحسب اهتمامه، وبما يحمله المخطوط نفسه من الأوجه الدراسية، فقد تكون الدراسية ذاتية معنوية علمية للنص نفسه، أو قد تكون شكلية مادية لشكل المخطوط الخارجي، وبشيء من التفصيل ينقسم علم الاكتناه الى قسمين رئيسين: الأولى: الدراسة (الفيلولوجيا) ونعني بها دراسة النصوص القديمة وفك رموزها من حيث الضبط والتحقيق والنقد، أي هي التي تهتم بالنص ذاته وما يحمله من معارف وفنون" توسع اللغويون في مدلول (الفيلولوجيا) فأطلقوا هذا المصطلح على نوعين من أنواع النشاط والتحقيق العلمي وهما: تحقيق النصوص القديمة اللاتينية واليونانية والمخطوطات والوثائق بغية نشرها والانتفاع منها في النشاط العلمي، وثانيا: ضبط نظام لغة من اللغات القديمة، وقوانينها الصوتية والصرفية والنحوية ولاشك أن قدم هذه اللغات ينسجم مع المعنى الأصلي للفظ، (فيلولوجيا) ومع ارتباطه باللغات القديمة" (الدلبي: ٢١٧، ٢٠١٤).

وبصرف النظر عن جميع المسميات والمصطلحات تبقى القيمة العلمية والادبية للتحقيق ودوره الفاعل في التعريف على معالم وعلوم العرب الأقدمين هامة، فهي تقوم على خلق نشاط ذهني للمتلقي بتكوين تصورات وأفكار وتكسبه مهارات معرفية جمّة" إننا لندين للعرب -والتاريخ شاهد على ذلك- في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محبة الى النفوس وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب الذي كان يوما من الأيام قائما حالكا باهتا، وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة، وطيبته بالعبير العابق، وأحيانا باللون الزاهر، وزادته صحة وجمالا وأناقة وروعة" (هونكة: ٢٠، ١٩٩٣).

المؤكد أنه لا يمكن نفي التراث تماما، أو جعله كيانا مستقلا قائما بذاته، أو منقطعا عما بعده، فهو يشكل الأساس الذي تبنى عليه العقائد والنظريات الجديدة، فلا شيء منفصل عن شيء، فالماضي والحاضر يشكلان مع بعضهما المخزون الثقافي الوطني والقومي لأبناء الأمة وينطلقان معا لإحياء الذاكرة، وإكمال المسيرة، فالتراث هو الأصالة، والعودة الى جوانبه المشرقة تدعونا للانطلاقة بثبات نحو المستقبل، وليس اجتراه أو الاتكاء عليه بل التعامل معه بإيجابية، فلا يقطع صلتنا بالماضي، ولا الماضي

يسعى لجرّ حاضرنا إليه، وعليه فالتراث الحقيقي هو المجدد لنفسه من حيث تولده من القديم بحلة جديدة على قدر من الجودة والإبداع والخصوبة والثراء، فلا منصف ينكر ثراء وغنى التراث الإسلامي، وهذا ما دعا الغرب والمستشرقين يتهافتون عليه " الاهتمام ظهر في القرن الثالث الهجري ذلك لأن الإسلام بسط سلطته شرقا وغربا، لأكثر من قرن أدرك المسلمون حاجتهم الضرورية لتدوين الذاكرة التاريخية للعلوم الغربية خوفا من الخلط والنسيان والنحل" (الملخ: ١٩٩١، ٢٠).

ولا غرابة في أن تنال المخطوطات العربية والإسلامية اهتماما واضحا من قبل مختلف الباحثين، فما يمتلكه العرب والمسلمون من تراث فكري ورصيد ضخم وهائل يصعب الإلمام به، فجهود المفكرين لم تتوقف عن الإبداع والتدوين وعلمهم لم يكف عن التوقف منذ أربعة عشر قرنا ، الأمر الذي وضع مخطوطاتنا في مكانة يجعلها الأكثر عددا والأغنى محتوى والأطول عمرا من سائر مخطوطات الأمم الأخرى، يقول جابر عصفور " بقدر ما نرى في الحاضر واقعا عاجزا نرى في التراث ماضيا مشرقا، ففي التراث واحة مشرقة، كنز لا تنفذ عجائبه، لحظات لم تعرف الهزيمة أو الانكسار أو الانحدار كأن كل ما ينتمي للماضي التراثي هو الصورة الجميلة المقابلة لصورة الحاضر القبيح، وبهذا يقوم التراث بوظيفة تعويضية" (عصفور: ١٩، ١٩٩٤).

١.٣ البحث الأول: في المخطوط واختياره:

لاريب أن المخطوطات العربية والإسلامية منتشرة في ربوع الكرة الأرضية، ولما يحتويه المخطوط العربي الإسلامي من علوم وفنون جعل المسؤولين في المكتبات العربية والعالمية الكبرى يتسابقون في اقتناء بعض من تلك المخطوطات، وقد تنبه الغربيون أكثر لأهمية التراث العربي " لقد نال التراث العربي المخطوط نصيبه من هجمة المستشرقين عليه والهدف من جمعهم المخطوطات أن يتعرفوا أخلاق العرب، والشرقيين، وعاداتهم ، وتقاليدهم، وما لهم من معارف وثقافات، ولهذا اتجه الغربيون عامة، والفرنسيون خاصة الى جمع أعداد من المخطوطات لهذا الغرض، وقد جند رهبان، ومبشرون، وتجار، وجواسيس، ودبلوماسيون، وسفراء في العالم العربي والإسلامي، ورحالة، وسواح ومستعربون، كلفوا خصيصا لهذا العمل" (الراشد: ٥١، ٢٠١٤).

المخطوطات كائنات حية، واللغة التي كتبت فيها سمة أساسية لكل أمة، فمتى ما خرجت هذه اللغة من الحياة عدت تلك الأمة بائدة، وبمجرد ما ينقرض الجنس البشري أفلت معه لغته، فالأمم التي تحمل حضارة وتاريخا اكتسبته من لغتها الكتابية الباقية من أماد وازمان موعلة في عمق التاريخ، بمخطوطاتها استطاعت البقاء وعبور التاريخ، ومن هذا نفهم سلوك المستعمر أول ما تطأ جحافلُه سوح الأوطان يشن حربا لا هوادة فيها على اللغة ويحاول تغييرها بشتى السبل، فضلا عن المعارك الشرسية التي تحدث من جملة نتائجها زحزحة اللغة من مكانها، أما ولغة العرب مقدسة وشرعية لأنها مستمدة من القرآن والسنة والشعر العربي الأصيل، ضف لمن كان يسعى لتطويرها ونموها منذ أن كانت نقوشا على الألواح الصخرية الى وقتنا هذا" لقد ترك لنا الأوائل تراثا فكريا عظيما يقدر بملايين المخطوطات في مختلف فنون المعرفة وما زال الكثير ينطوي على عناصر الحياة والسماء، نحن بحاجة اليه في حاضرتنا، واتخاذُه نبراسا يضئ لنا آفاق مستقبلنا على الرغم من ضياع الكثير منه" (المشوخى: ١٣، ٢٠١١).

إذا كان للمخطوط بتلك الأهمية، وهذه المكانة من التراث، فما هو؟ وما هي أهميته في تراثنا؟ بتجرد وبعيدا عن كل الدراسات وكم الكتب والبحوث التي تناولت المخطوطات ودراستها، وبعيدا عن جميع المسميات والمصطلحات الحديثة والقديمة (الاكتناه) و(البلوغرافي) و(الكوديكولوجي) و(الفيلولوجيا) التي اقترنت بالمخطوط ودراسته، وبعيدا عن جميع الأوصاف والنظريات العلمية والنقدية والتحليلية والتطبيقية، نقول:

- ١- المخطوط لغة: خط في خططت، يخط، اخطط، خط، خطأ، فهو خاط، والمفعول مخطوط، وخط الكتاب: كتبه، خط نسخته بيده، بالقلم {وما كنت تتلو من بله من كتاب ولا تحطه يمينك} ❖ (معجم اللغة المعاصرة) و(لسان العرب).
- ٢- مأخوذ من خط بالقلم، خط يخط خطأ: أي كتب أو صور اللفظ بحروف هجائية (البستاني: ٥٦٣، ١٨٧٠).

والمخطوط اصطلاحاً: هو الكتاب المكتوب بالخط لا بالمطبعة، وإذ ليس كل ما هو مكتوب باليد هو مخطوط، فمنه ما نقش على الأحجار وما خط على القبور، وجمعه مخطوطات، وهو تلك الوثيقة الهامة المكتوبة بخط اليد، والمخطوطة النسخة المكتوبة

باليد، وتحتاج هذه النسخة اليدوية من يجتهد ويبدل وقتا لتحويلها الى كتاب مطبوع إسوة بملايين الكتب المطبوعة والمتداولة ورقيا أو الكترونيا (النشار: ٥، ١٩٩٧).

وقد تدرج المخطوط في تسمياته المتعددة، بتعدد العصور فهو الرقيم، الزبور، المصحف، السفر، الرسالة، الدفتر، الكناشة، الكراسه، وأخيرا ورد باسم المخطوط مقابل الكتاب المطبوع في تاج العروس: كتاب مخطوط أي مكتوب فيه (بنين: ١٣).

أما علم الاكتناه أو علم تحقيق المخطوطات أو علم آثار الكتاب، وهو دراسة المخطوط روحا وجسدا، جوهرها ومظهرها، معنويا وماديا، وهو بقسمين وكما أشرنا لذلك في التمهيد للمباحث، ليس هذا العلم غريبا عن العرب، إلا أنه عند الغربيين بلغ اهتمامهم أن" أنشأت مؤسسات بحثية عالمية تعتني بالمخطوطات وصيانتها، وصارت (الكوديكولوجيا والفلولوجيا)علمين مستقلين يدرسان في الجامعات العالمية الكبرى وعلم المخطوطات (Codicology) وهو دراسة الكتب كأشياء مادية؛ وخاصة المخطوطات المكتوبة على الرق التي هي على شكل المخطوطات المأثورة أو الأسفار القديمة وغالبا ما يشار إليها باسم علم آثار الكتاب، حيث يهتم هذا العلم بالمواد والطرق المستخدمة في صناعة الكتب وتجليدها، ويدرس هذا العلم المخطوطات في مظهرها المادي؛ وقد نشأ في فرنسا، خلال العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين. ويعود تأسيسه إلى كل من شارل سارامن (Samaran Charles) وألفونس دان (Dain Alphon) فابتكر الأول مصطلح كودغرافي (Codigraphie) أما دان فابتكر المصطلح الثاني (علم المخطوطات) واستعمله أول مرة عام ١٩٤٤" (قندوز: ١١٧، ٢٠١٤). أما عند العرب ف"تكمّن قيمة وأهمية علم الكتاب العربي (المخطوط) في كونه وعاء احتفظ بنتاج الفكر العربي الوسيط والفكر الإغريقي القديم مترجما إلى لغة العرب؛ فعمد الغرب إلى ترجمة الكتب من العربية إلى لغاته، ولم يكتف الأورويون بالنقل من العربية إلى لغتهم، بل وجدوا أمامهم ألوانا من الفن العربي الإسلامي في صناعة الكتاب وزخرفته وتجليده وتذهيبه، فنقلوها إلى بلادهم؛ فكان فن التذهيب أول الفنون التي تعلمها الإيطاليون من اساتذتهم المسلمين" (نفسه: ١٢٢).

إن الجهود المبذولة لإخراج المخطوطات من برائن المكتبات، لا تتناسب وضخامة تراث المسلمين والعرب كما ونوعا، وعلى الغيارى أن تتضافر همهم للعمل عليها،

ويزداد شعورهم بالانتماء، فينقبوا عما كان نافعا وأصيلا ودفينا ليظهروه الى النور ليس لأنه وعاء أثري ثري يجب البحث عنه وتحقيقه بغية عرضه بل هو قضية أحياء من الموت لينظم لنسيج الحياة الثقافية ويصطف مع ملايين الكتب العلمية الثرية بالأبداع والتجارب ليكون عاملا فاعلا ومؤثرا في تحفيز الأجيال للسير على نهج الأجيال السابقة والنهل من معينها الصافي لبناء نهضة متجددة أسوة بهم وتتويج هذا الإرث الثقافي والفكري وحفظه من الطمس والاندثار وباندثاره وإشاحه وجه الرعاية والعناية بالمخطوطات يؤدي الى إشاحه واندثار الشخصية العربية والتراث العربي والإسلامي، يقول ديروش "يوجد في العالم نحو خمسين ألف مخطوط يوناني، و نصف مليون مخطوط لاتيني، أما المخطوطات المكتوبة بالحرف العربي فتبلغ بتقدير بعض الكتاب المتخصصين نحو سبعة أو ثمانية أضعاف هذا الرقم ويرجع السبب في هذا الى المكانة التي احتلتها الثقافة الإسلامية" (فؤاد: ٢٠٠٥، ١٤).

أما معايير اختيار المخطوط للعمل عليه فلا يختلف عليها اثنان، إذ تبرز بالدرجة الأولى أهميته العلمية، فليس الأمر عشوائيا أو ليس مشروطا بشروط، فمادام المحقق سيخرج كتابا مطبوعا للنور، فما جدوى كتاب لا نفع ولا قيمة علمية تتأتى جراء الجهد والتعب فيه، فمن الأفضل والأجدى للباحث أن ينتقي المخطوطة السمينية علميا وموضوعيا، ثم يقوم على صب جهده عليها لإظهارها بالشكل المناسب، فاختيار المخطوطة جيدا مدعاة لتحقيق سبق علمي وتفرد للباحث " ليس في أوراق المخطوطات أنساق من الأفكار والمعاني والشروح والنظريات فقط بل إن المخطوطة العربية وثيقة بحد ذاتها بما تحمله من أبعاد، إن ما نسميه الآن مخطوطة كان في زمن كتابتها وما بعده مساحة حوار مفتوح عبر الأزمان" (سماير: ٣، ٢٠١٣).

سبق وذكرنا أن المخطوط يدرس من مظهرين: المعنوي الجوهرى: وهو الأهم فيما يخص المادة العلمية التي يعالجها المخطوط، ومدى الإفادة المتحصلة منها، ثم يأتي المظهر المادي الشكلي: ويشمل القيمة الفنية، وما يحمله المخطوط من أنواع مختلفة فمنها ما هو مخطوط على البردي أو على جلود الحيوانات، ومنه ما كان مخطوطا على الورق، ثم الأقلام المختلفة منها ما كان من العاج أو القصب أو سعف النخيل، أما المداد فهو مصنوع من الحناء أو البن أو الأزهار، والمخطوط فهي بحسب شيوعها في العصر الذي

كتبت فيه المخطوطة، وكثير من الأمور والعناصر الفنية التي تنظر في المخطوطة و" يمكن حصرها في الخط وأشكاله المتعددة، وسمكه وألوان المداد والزخرفة بنوعها الشكلي والموضعي والتصوير بمظهره المرجعي الملتمز والفني المتطور والفراغات والتناسب في طول الأسطر والابعاد بينها وعددها في الورقة، والتجليد في حرفيته وتوشياتها الرائعة"(نفسه: ٩).

ثم آخر المعايير التي يجب أن يهتم بها الباحث في انتقائه للمخطوط، هو القيمة الحضارية والتراثية للمخطوط، ولأن المخطوط كتاب حافظ لروح الأمة، وهو همزة الوصل بين الماضي والحاضر، ولو تصورنا أن شعبا بلا حاضر ولا مستقبل، ندرك قيمة التراث وما يقدمه للأجيال لأنه بمثابة رسالة معرفية وعظيمة علمية موجهة من الأجداد الى الأحفاد لما تحمله هذه الرسالة من أبعاد وصور حية محفوظة بتلك الكتب فهو إذا يمثل كينونة الأمة لأنه كنز مشع بالمعاني والوقائع الماضية التي رصدها واخذها من عمق الماضي ليقدمها شاهدا على العصر الذي دون فيه بكل حيثياته واحداثه وأبطاله فيؤثر فينا على قدر قيمته التي احتواها" التراث هو بصمة الهوية ووشم الانتماء، بوصفه النواة والمؤسس والصانع للهوية، وهو حضور الآباء في الأبناء وما يبقى من السلف الى الخلف.. وقيمة المخطوط تزداد وترتبط بمدى تمثيله لثقافة عصره ودرجة تفرد برسم معاملة الحضارية كما يزيد من قيمته العلمية والثقافية وإشارة المختصين إلى أهميته"(نفسه: ١٢).

وأخيرا لابد من القول إن المخطوط هو كتاب كتب بيد مؤلفه ولم يرَ النور بعد، وحتى يكون صالحا للمداولة والإفادة يجب أن يطبع لينتفع به، أما علم الإكتناه هو العلم المهتم بحفظ المخطوطات وفهرستها ونشرها" وقد خرج من دائرة الفنون ودخل في دائرة العلوم بعد أن تطور كثيرا وأصبحت له فروع مثل مكافحة الحشرات التي تصيب المخطوطات وترميمها وصناعة الورق الخاص فاستعار من علم الكيمياء والفيزياء والأحياء والمكتبات والحاسوب الشيء الذي أدخله ضمن العلوم الحديثة" (الحري: ١١٩).

٢.٣ المبحث الثاني: بلوغرافية المخطوطات:

أولاً: في مفهوم التحقيق:

التحقيق لغة هو "إحكام الشيء وتصحيحه وإثباته ولزومه" (ابن منظور: ٩٤٠) ما يعني معرفة حقيقة الشيء على وجه الصحة واليقين. أما التحقيق في الاصطلاح: هو عملية استخراج كتاب مكتوب بخط يد مؤلفه، وبعد العمل عليه ومعرفة كنه ما فيه وكنه ما احتواه، باتباع أسس ومعايير محددة لمعرفة حقيقة ما أكتنزه وتحويله الى كتاب مطبوع متداول ومتناول في أيدي جميع الطلبة والمثقفين، ولا يختلف عن الكتاب الأصل من حيث الجوهر والمضمون "الاجتهاد في جعل النصوص المحققة، ونشرها مطابقة لحقيقتها كما وضعها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى والخط" (جواد: ١١٩).

ثانياً: في زمنية علم الإكتناه أو التحقيق:

إن العرب اعتنوا عناية كبيرة بالكتاب، ثم أنهم خلفوا تراثاً ضخماً من الكتب وقد وضعوا المناهج في تصحيحها وتحريرها ومقابلتها، وأول البوادر لهذا الفن كانت في عصر الصحابة والخلفاء الراشدين مبتدئين بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقد تأصل هذا العلم على يد علماء الحديث ولهم قصب السبق فيه، ثم التفت المستشرقون للتراث العربي وراثته، وفي مرحلة من مراحل حياة المسلمين قاموا بترجمة ونسخ المخطوطات، فتنبه العرب لذلك ووافق انتقال الطباعة للشرق، فتولوا مهمة تحقيق ونشر تراثهم، وإذا هو علم قديم حديث "حديث في الغرب لم يكد يبلغ قرنين كاملين، لكنه علم قديم في لغة العرب، إذ يرجع تاريخه المحقق الى عشرة قرون وربما بداياته الأولى الى ما قبل ذلك بقرنين آخرين" (الحلوجي: ١٣١، ٢٠٠٢).

إلا أنه ليس علماً مستقلاً واضح المعالم له أصوله وشروطه ومناهجه، بل هو مجرد إجراءات وعمليات يقوم بها بعض الأشخاص، إذ كان بادئ ذي بدء تشويه بعض الهفوات من مثل: النشر دون فهرسة، نشر أكثر من كتاب في كتاب واحد، كما حصل في شرح التفتازاني على تلخيص المفتاح إذ طبع معه مواهب المفتاح في شرح التلخيص، وعروس الأفراح في شرح التلخيص، وإغفال وصف وتاريخ المخطوط، ووضع إشارة

بسيطة لاسم المصحح أوقد لا يذكر بالمرّة" كان هذا العمل يتمثل في تقويم النصّ والاطمئنان الى صحته، ومقابلته على بعض اصوله، دون تقصي أصوله ووصفها، أو الإشارة الى أسمائها، ولا مكان وجودها في الحواشي أو المقدمات، ولم تظهر كلمة تحقيق إلا على يد الجيل الذي كان يتقدمه أحمد زكي باشا" (الغرياني: ٦٩، ٢٠٠٦).
إلا ان النشر فيما بعد تطور الى وضع فهرس، وشرح وتعليق للمتن، ومقدمة وخاتمة، وصار يحمل عدة مصطلحات منها:
التحرير: ويعني الضبط والتأكد من الكتابة وتخليص الكتاب من الدخيل والشائب فيه.

والمقابلة: وتعني مقابلة النسخ مع بعضها من أجل ضبط النص وتصحيحه، يقول علي النجدي في كتابه سبويه إمام النحاة" كان للقدماء عناية ملحوظة بضبط النصوص والمحافظة على صحتها، وكانوا يروون أخبارها بالسند، حتى يرفعوها الى أصحابها، على نحو ما كانوا يصنعون بأحاديث رسول الله (ص وآله) وكانوا ينسبون نسخ الكتب التي يرفعونها فرعا الى أصل، حتى يبلغوا بها أوائلها التي تحدّرت منها، وكانوا يقرؤونها معارضة على الأصول التي ينقلون عنها" (ناصف: ١٥٤، ٢٠٠٩).

ولو جئنا للقرن العشرين سنجد أن التحقيق تجاوز الكثير من السليبيات التي سبقت، وظهر هناك العديد من المحققين الذين تصدوا لهذه المهمة، وكانوا يحملون الشيء الكثير من الخبرة والحمية على التراث، ومن الكتب التي أصلت لعلم الاكتناه أو التحقيق:
١- المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للقاض عبد الرحمن الرامهرمزي (ت ٣٦٠).
٢- وكتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) وأخرجه الحافظ أحمد الأصفهاني(ت ٤٣٠).

٣- والكفاية في معرفة أصول علم الرواية للحافظ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)، ومن كتب المحققين المحدثين وهي كثيرة جدا. نذكر:

١- قواعد تحقيق النصوص صلاح الدين المنجد، مجلدان (١٩٥٥).

٢- تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون (١٩٥٣).

٣- محاضرات في تحقيق النصوص حسين نصار (١٩٦٧).

٤- منهج البحث الأدبي علي جواد الطاهر (١٩٧٧).

٥- أصول تحقيق النصوص مصطفى جواد (١٩٧٤) وغيرها الكثير" (مبخوت: ٢٠١٩)
أما المستشرقون فقد اكتفوا بنشر المخطوطات كما هي بلا مقابلة ولا فهرسة ومن
أوائل الكتب التي نسخوها:

- ١- الكافية في علم النحو لابن الحاجب (ت ٦٤٦) عام ١٥٩٢ نشر في روما.
- ٢- كتاب الكتاب لسيويه (ت ١٨٠) تحقيق هرتويغ ورنبرغ نشر بباريس عام (١٨٨٥).
- ٣- عجائب المخلوقات للقزويني (ت ٦٨٢) بتحقيق فستفد عام (١٨٤٩)
- ٤- رسائل أبي العلاء المعري (ت ١٠٥٧) تحقيق د. س. مرجليوت، نشر في أكسفورد عام (١٨٩٢)

- ٥- الكامل في اللغة والأدب للمبرد (٢٨٦) تحقيق و. رايت، نشر في لندن عام (١٨٦٠)
- ٦- معجم البلدان للحموي (٦٢٦) نشر في لايزك عام (١٨٦٨) تحقيق فلوجل.
- ٧- شرح ديوان المفضليات للأنباري (٣٨٢) نشرته المطبعة الكاثوليكية باكسفورد عام ١٨٠٨ تحقيق جريس لايل.

- ٨- شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٥٠٢) نشر عام (١٨٢٨) في برن تحقيق فريتاغ
- ٩- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للأدريسي الصقلي (٥٦٠) نشر في ليدن عام (١٨٦٦) تحقيق روزي.

- ١٠- التصريف لإبراهيم الزنجاني (٦٥٥) وفي عام ١٦١٠ نشر في روما.
وغیرها كثير، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أمرين:
الأول: اهتمام المستشرقين بتراث العرب وثقافتهم وعلومهم لغناها وثرائها.
والثاني: دورهم في خدمة هذا التراث رغم اختلاف منهجهم في التحقيق، وأيضاً رغم
اختلافهم في تقدير تراث العرب والاعتراف بفضلهم وقيمتهم في تاريخ الحضارات
أجمع.

فبعد استقرار رأي المحقق على مخطوط ما عليه أن يخاطب المكتبات، وتجميع ما
للمخطوط من نسخ متناثرة هنا وهناك، ويشرع بالعمل في استخراج ما فيه من تضمين
للقرآن والسنة والأشعار، ويوثقها ويقوم بتخريجها وإعادتها لمصادرهما، ويقارن بين
النسخ لاستخراج المختلف فيما بينها، والعمل على عمل هوامش وفهارس وجداول
تحصل عليها من عمله، ثم يخرج كتاباً مطبوعاً صالحاً للإفادة منه.

٣. رحلة ومنهجية التحقيق:

سبق القول: حين استقرار رأي المحقق على المخطوطة المراد دراستها وتحقيقها، عليه القيام بأمر أربع:

١- التعريف بالمخطوطة: عنوانها، مؤلفها، تاريخها، خطها، ناسخها، وإلى غير ذلك مما يتعلق بها.

٢- صورة عن المخطوطة: وهي نقطة لا بد منها يصور صورة الغلاف ثم صورة للمقدمة والخاتمة ومن متنها وان شاء أزيد.

٣- نسخ المخطوطة: إعادة كتابتها ونسخها من جديد وتشكيلها ووضع علامات الترقيم؛ لأنها لم تكن معروفة عند القدماء، وإخراج المخطوطة بالصورة التقنية الحديثة، وبشكل علمي ومنظم.

٤- تحقيق المخطوطة: بعد إنجاز المقدمات السابقة لتحقيق المتن، يكون الشروع بالعمل على المتن، ويستوفي المحقق عمله بالإشارة إلى الآيات واعادتها لسورها، وتخريج الأحاديث والحكم والأمثال والأشعار، ويضع ترجمة للأعلام والأسماء والألقاب، شرح المصطلحات العلمية وإلى الاختلاف فيما بين النسخ التي توفرت وما مدى اختلافها مع النسخة الأم، يدون كل ذلك في الهامش مع ذكر المصدر ومتعلقات التوثيق رقم الصفحة والجزء والطبعة وما إلى ذلك، ثم يقوم بعمل فهرس للأعلام والموضوعات والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها، وان كانت المخطوطة ديوانا شعريا" ينبغي على المحقق أن يوثق الأبيات الشعرية بالرجوع إلى دواوين الشعراء إذا كانت مطبوعة أو مخطوطة وامكن الاهتداء إليها وان لم يجد للشاعر ديوانا فعليه الرجوع إلى كتب الأدب العامة والكتب المختصة بالشعر والشعراء" (زوين: ٨).

٤. اختلاف الحققين في المنهجية:

المنهجية: هي الطرق التي يتبعها المحقق في إخراج كتاب مخطوط من عالم النسيان، إلى كتاب مطبوع في عالم النور، على أسس صحيحة محكمة مبنية على التحقيق العلمي، وتحرير الكتاب من التصحيف والتحريف والخطأ والنقص والزيادة، وبمعنى آخر: هي السبل التي ينتهجها المحقق والباحث في إخراج المخطوطات ونشرها وتيسيرها للاستفادة منها، في الصورة التي أراد لها مؤلفها، أو أقرب ما تكون إلى ذلك، ولا يدرك ذلك إلا

بعناء وصبر على البحث والتمحيص" اشترك المعنى اللغوي للتحقيق مع المعنى الاصطلاحي القديم والحديث من جهة الاثبات والتصحيح والإحكام، فهدف التحقيق هو تقديم نص صحيح موثق ميسر" (إسطنبول: ١٧٠، ٢٠١٣).

اختلف العلماء في المنهجية العلمية الصحيحة في تحقيق التراث، وكثر الكلام في انقسامهم على نحو من قام بتقليد المستشرقين، ومن أضاف الى منهج العرب الأقدمين في علم الحديث" أول من وضع نهجا من المؤسسات العلمية لتحقيق نص قديم هو المجمع العلمي العربي بدمشق" (المنجد: ٩، ١٩٨٧).

أهم الخطوات المنهجية في علم الاكتناه هي: تحقيق عنوان الكتاب وتوثيقه لمؤلفه، تحقيق نسبة الكتاب لمؤلفه، تحقيق متن الكتاب حتى يظهر مقاربا للنص المؤلف، وتقوم المنهجية على جمع النسخ الخطية للكتاب المراد تحقيقه، وجمع المصادر حوله، وترتيبها زمنيا ومقابلة النصوص بعضها ببعض ومن ثم دراسة الأعلام، والمفردات الغريبة، وشرح المصطلحات العلمية، ويوثق النص في الهوامش على نهج واحد بدقة" من التعليقات التي لا ينبغي أن يهملها المحقق الشروح اللغوية للألفاظ غير الواضحة، ويثبت شروح تلك الألفاظ بلا اسهاب وباختيار دقيق لما يناسب الكلام في النص فليس من الصواب مثلا أن يؤتى بكل المعاني في مادة الكلمة فيقع القاري في حيرة، ولا تعني التعليقات أن يثقل المحقق هوامشه بشروح لغوية لألفاظ واضحة" القيسي: ٨٦، ١٩٧٥).

ففي عملية التحقيق ثلاثة أساليب يمكن للباحث أن يتبع أحداها: (التطويل والاختصار والوسطية) وهي تختصر المنهجية التي اختلف عليها المحققون فيمن نهج منهج المستشرقين ومن خالفهم:

- ١- التطويل: يعني الاسهاب والتفصيل ويدخل في عناوين من مثل الشرح والتعليق.
 - ٢- الاختصار: وهي طريقة المستشرقين يكتفون بذكر اختلاف النسخ وضبطها فقط دون تحليل وشرح، وهو الأصح.
 - ٣- الوسطية: وهي الطريقة السائدة والمثلّى اذ لا يطيل المحقق حد الاسهاب، ويضع اشارات وتعليقات مختصرة، وهو الأسلم لأنها تجمع بين العلمية والاختصار.
- ويذكر أن المستشرقين وجهوا عنايتهم لنشر نفائس الكتب ووقعوا في أخطاء فأعاد المحققون العرب بعضا مما حققوه، ولم يهتموا بالشرح والتعليق ولا تخريج النصوص من

مظانها المختلفة، لانهم لم يكونوا ليهتموا بترائنا بل لتراثهم هم، يقول أحدهم " نحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية، لا نقوم بها فقط لكي نبرهن ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس نبرهم على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء نرويه المصادر على هوانا دون ان نعمل فيه النظر ونقيم وزنا لما يثبت أمام النقد التاريخي ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه على تاريخ الفكر عندنا، وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن" (سعيد: ١٠، ٢٠١٧).

ومنهجهم هذا طبق في جمعية المشرقيين الألمان (DMG) في نشرياتها الإسلامية وقد اشرف على ذلك المستشرق الألماني (هيلموت ريتز) وهناك العديد من المؤلفات التي قدمت لمنهجهم هذا منها: (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) للمستشرق (برجستراسر) وهذا الكتاب يقدم وجهة نظر الاستشراق الاوربي عامة والألماني، وكتاب (قواعد نشر النصوص العربية وترجمتها) ل (ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه) و(مع المخطوطات العربية) ل(كراتشكوفسكي) ومع هذا يبقى التحقيق فن عربي اصيل وضع قواعده علماء العرب بدقة وحتى الفهارس التي وضعوها سبقهم العرب كفهارس ابن الأثير تلا أن المستشرقون أحيوا هذا الفن فلهم فضل تنبيه المسلمين لأهميته" (الجراخ،: ٧-١٣).

وفيما يخص التحقيق والغاية منه " فقد اختلفت الآراء حوله فمنهم من جعل غاية المحقق أداء النص كما وضعه المؤلف، ومنهم من يرى أن الاكتفاء بتقديم نص صحيح فحسب لا يبدو صحيحا من غير توضيح والحشية من إثقال النص لا معنى لها حين تكون ذريعة للتهرب من مواجهة المشكلات" (الطباع: ٦١، ٢٠٠٣).

واختلف العلماء المعاصرون في ذلك على رأيين: الأول متابعا للمستشرقين الذين يرون لا ضرورة للتعليق على المخطوط، وأن العمل على المخطوط لا يلزمه التحقيق، وآخرون يلتزمون بمجموعة من الخطوات الرئيسة التي اعتمدها المحققون المحدثون في منهجية التحقيق، وعدوها من مكملات التحقيق:

- ١- التخرّيج: هو ارجاع النصوص المنقولة الى مصادرها كآليات لسورها والأشعار لدواوينها، ثم التعليق وهو ما يعلق به على كلام غيره.
- ٢- التعليق: تعقيب بنقد أو بيان تكميل، أو تصحيح أو استنباط، ويكون في حاشية المتن، ومن أهم ما يعلق عليه هو: المصطلحات العلمية، والأعلام والألفاظ اللغوية الغريبة.
- ٣- التشكيل: هو وضع الحركات في مواضعها والالتزام به في المواضع التي يؤدي تركه الى اغلاق المعنى أو قلبه.
- ٤- الترقيم: هناك إشارات ورموز وعلامات تساعد القارئ في تيسير مقاصد الكتاب ومعانيه وإهمالها يؤدي الى شيء من الصعوبة في فهم مضامين الكتاب.
- ٥- التصفيح أو الترقيم: وهي عملية وضع ارقام للصفحات وقديما كانت بالتصفيح حيث يثبت الكاتب في بدء الصفحة التالية الكلمة الأخيرة من الصفحة التي قبلها.
- ٦- التهميش: عمل هوامش للكتاب برقم أو رمز يضعه المحقق أمام ما يريد تخرّيجه أو التعليق عليه، وغالبا ما تكون تحت المتن، والهامش هو المعلومات التي لا تذكر في متن الرسالة وإنما في أسفل الصفحة ويحتوي على: التراجم والتعليقات والفوارق بين النسخ ومعاني الكلمات (الحربي: ١٢١).
- ٧- الكشف أو الفهرسة: العمل على ادراج الفهارس والكشوف: وهي الكتب التي تجمع فيها الكتب وفيها كل ما توصل إليه المحقق من الأعلام والأماكن والموضوعات مرتبة بنظام معين (الفضلي: ١٨١-٢١٠، ١٠٨٢).

٣-٣ المبحث الثالث في المحقق:

لا يكفي لمن يروم تحقيق مخطوط علمي أو أدبي أن يقف عند ضبط وتشكيل النص، ويقول: هذا هو مراد المؤلف، وهذا نصه كما وضعه هو، ويتذرع بذريعة بأن عملية بلوغرافية المخطوطات هي الإتيان بالنص كما أراد لها المؤلف ولا يتجاوزها إلى شرح المصطلحات وتحليل المسائل والتعليق على العبارات أو تقريب لمعاني الألفاظ، بل عليه وبفارق الازمان واختلاف الأجيال وتغير المستويات الثقافية بين عصر المؤلف والمحقق أن يظهر كل ما هو غائب، ويوضح كل ما هو مشكل، ويخلق وعيا جديدا لفهم النص القديم، ليفهم القارئ تراثه ثم يقارن بين عصره وعصر المؤلف وهنا تتحقق الغاية من اتصال الحاضر بالماضي، فتتجلى الاستفادة من تحقيق التراث برمته وبجميع علومه وفنونه "

إن تحقيق التراث رسالة حضارة يقصد بها خلق وعي علمي أو انماؤه قبل أن تكون حرفة محترف" (رؤوف، ١٤٣٤).

يضع المحقق نصب عينيه أنه أمام شيء ثمين يخصه، يحمل ضربا من ضروب المعرفة، فلا يستهين العمل به لأنه ارث آبائه واجداده وعليه أن يؤمن به ويخلص له أولا ثم الواجب يحتم عليه اظهاره بالصورة اللائقة له بأمانة علمية واتقان فني، فالمحقق ولا ينسى أنه عنصر هام في هذه العملية إذ أن عملية التحقيق تقوم على عنصرين اثنين هما: المحقق والكتاب المحقق، " لابد للمحقق أن يتصف - شاء أم أبى - بصفات ويلم بأمور ليكون تحقيقه اقرب الى الكمال وابعد عن الخطأ، لان ذلك يمثل المنهج الصائب في احياء النص واخراجه كما أراد له المؤلف أو يأتي قريبا منه مبرءا من كل تحريف او تصحيف متجنباً كل مزلق يخرج عن جادة الصواب" (الحلي: ٨).

هناك جملة من الشروط يجب أن تتوفر في شخص المحقق، سواء كانت شروط خاصة أو عامة، بالإضافة الى أن يكون المحقق ذا خلفية علمية وفنية، عارفا بالمصطلحات العلمية فضلا عن المعرفة باللغة العربية، فمن يريد تحقيق ونشر كتاب لغوي مثلا، عليه أن يكون معنيا باللغة ، هاويا لما هو مقبل عليه من عمل، صبورا على الصعاب، جوادا بجهده ووقته، حافظا لطائفة كبيرة من الألفاظ، مقتدرا على التخمين وكشف التحريف والتصحيف في جوهر ومحتوى موضوع المخطوط الرئيس، ثم لا يفهم من لم يكن شاعرا أو على الأقل عارفا بفنون الشعر وقوافيه واوزانه وعروضه وعصوره، ليقوم بتحقيق مخطوطة في الشعر وفنونه، فيما لو كان المخطوط ديوانا شعريا فعلى المحقق القيام بعدة اجراءات متعلقة بالشعر وتحقيقه، وربما أهم ما يهتم به:

١- ضبط أبيات الشعر بمقدار أمن اللبس، ووضع علامات ترقيم مناسبة، وبيان ما يحتاج للبيان في الهامش.

٢- تخريج الابيات من ديوانه مع الالتفات لما جمع هل هو من شعره قديما أو ما جمعه المتأخرون له وهنا يشار بالقول الى جامع الديوان او ناقله.

٣- بيان اوزان الابيات من حيث ذكر البحر العروضي، ويكتب عناوين القصائد إن وجدت وبوضع أرقام للقصائد والأبيات وفي هذا يقول مصطفى جواد" يختلف المحققون للكتب بحسب موضوعات العلوم التي يحققون كتبها، فينبغي للمحقق في

علم من العلوم أو ضرب من الآداب أن يكون عالما به وعارفا بمصطلحاته ومطلعا على أنواع الكتابة وتاريخ تطورها في مختلف عصورها وعارفا أيضا بالكاغد- معربة- أي الورق وأنواعه، فضلا عن المعرفة باللغة العربية فمن يود أن يتولى نشر كتاب لغوي غير مطبوع ينبغي له أولا أن يقوم بالشروط العامة للنشر العلمي" (جواد: ١٢١).

ومن أهم الشروط والمؤهلات العامة التي يجب أن يتحلى بها المحقق:

١- الحرص على عدم الاشتغال بتحقيق كتاب مخطوط لا رغبة للمحقق على تحقيق موضوعه.

٢- طول الأناة والصبر عند المحقق، وكما استشهد بـ " كتابة كراس أسهل من ضبط سطرين مما كتبه الآخر"

٣- التتبع والاطلاع على المطبوعات الأخرى فلا بد من خبرة تميز من هو جيد أو غير ذلك

٤- قوة الحافظة والاستذكار للمحقق، وإن خائته حافظته فعليه بالاستعانة على القصاصات أو دفتر صغير.

٥- الأمانة العلمية هامة، ولا بد من مراعاتها بمنتهى الدقة.

٦- ضبط اللغة والنحو والصرف والإملاء.

٧- الموسوعية الثقافية فالمحقق يتعامل مع كتب تضم بين دفتيها مطالب مختلفة من علوم شتى.

٨- التخصص في الكتاب المراد تحقيقه. (العطار: ٢٠١٨)

ان هذا المنهج منهج صعب يوجب على المحقق الرجوع الى مصادر كثيرة وقد لا تكون في متناول اليد وهو ليس منهجا هينا يسيرا كما يصوره الجاهلون بل هو عمل شاق مرهق والحرص على احياء تراثنا المجيد جعلنا نتغلب على هذه الصعاب " الضامن: ١٨، (١٩٩٩).

هناك الكثير من الأعمال التي يجب على المحقق أن يقوم بها وهي من المكملات والملاحق التي تلحق بعمل المحقق، وربما يكون عمله مجذوما مبتورا من غيرها:

١- العناية بتقديم النص ووصف مخطوطاته: التعريف بالمؤلف، بيان عصره، فيما سبق كانت العناية بهذا الجانب قليلة، ويقتضي عرض علاقة الكتاب بغيره من الكتب التي تمت له بسبب من الأسباب.

٢- العناية بالإخراج الطباعي: اعداد الكتاب للطبع ومعالجة تجربة الطبع معالجة دقيقة، والنسخة بعد التحقيق تكتب بخط واضح، ومستوفية لعلامات الترقيم، والكتاب منظم الفقر والحواشي، مزود بالأرقام خال من التعقيدات الطباعية.

٣- صنع الفهارس الحديثة: فللفهارس المقام الأول بين ما مرّ من مكملات اذ بدونها تكون دراسة الكتب عسيرة كلّ العسر، فالفهارس تفتش في باطنها من خفيات يصعب التّهدي إليها، كما أنها معيار توزن به صحة نصوصها بمقابلة ما فيها من نظائر قد تكشف عن خطأ المحقق او سهوه، وعصرنا الحديث معقد وهو بحاجة ملحة الى اختزال الوقت ولفهارس سابقة قديمة عند العرب في كتب التراجم والرجال والبلدان ومعاجم اللغة (هارون: ٨٣-٩٤، ١٩٩٨).

وما بقي إلا أن نختتم بهذا القول " ان هذا المنهج منهج صعب يوجب على المحقق الرجوع الى مصادر كثيرة وقد لا تكون في متناول اليد وهو ليس منهجا هينا يسيرا كما يصوره الجاهلون بل هو عمل شاق مرهق، والحرص على احياء تراثنا المجيد جعلنا نتغلب على هذه الصعاب" الضامن: ١٨، ١٩٩٩).

٤- النتائج والتوصيات:

١.٤ النتائج:

أما بعد، هذا ما وصلت إليه الدراسة والتي تهدف الى لفت نظر الباحثين في شؤون المخطوطات، ومن له حمية وغيرة على تراثه، فمخطوطات المسلمين مازالت حقلًا بكرًا، وقد حاولنا فيها أن نسجل ونستقصي بعض المصطلحات والملاحظات في مجال التراث والمخطوطات، ومن أبرز ما توصلنا له:

١- التعريف بمسمى جديد (علم الاكتناه) ومعناه الدخول في كنه وجوهر الشيء بغية التعرف عليه، ونابع من اللغة العربية، ومضافا لمصطلح تحقيق، والاثنان يهتمان بدراسة التراث ومجالهما التعرف على الكتب المخطوطة من قبل أسلافنا العظام.

٢- تكمن أهمية (البيلوغرافيا) في كونها جسرا ثقافيا للمجتمعات، وسجلا معرفيا لإنتاجها الفكري الحديث والقديم، فهي تسهل عملية البحث في ميدان علم الاكتناه وجميع ميادين العلوم الأخرى، لأنها تسهلا للوصول الى المعلومة، وأساسا للعمل الرصين ، ومن دونها تقل قيمة العمل، فهي تعتبر توثيقا هاما وأكيدا.

٣- التاريخ جزء منا، وإنما لا نصنعه بل هو صانعنا، وفي تاريخ كل أمة تكمن عصارة أفكار أبنائه وإبداعهم؛ ولو لم يكن تراث المسلمين فيه غناء وانتفاع لما صرف الغربيون والمستشرقون خاصة وجهتهم إليه، واهتموا بتحقيقه ودراسته.

٤- عملية التحقيق الرئيسة واحدة لكن هناك الكثير من المصطلحات المتداخلة في بعضها البعض، وهناك عمليات إجرائية عند العرب كما عند المسلمين لكن المصطلحات متفاوتة ومختلفة كما في فقه اللغة والفيولوجيا وهو العلم الذي يبحث في أصول الكلمات واشتقاقها، وكذلك مصطلح دراسة المخطوطات يقابله ولو بجزئية منه مصطلح بيلوغرافية المخطوطات.

٥- إن مصطلح البيلوغرافية هو فن إحصاء الكتب المؤلفة في لغات مختلفة وفي شتى أنواع المعارف، مطبوعة أو مخطوطة، وبعد الاطلاع وجدت أن كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة في بيلوغرافيته يتفوق في تقنيته على جميع ما جاء قبله من كتب سواء كانت عربية أو غربية.

٦- أما ما يخص علم المخطوطات (الكوديكولوجيا) علم قادر وصف ونقد المخطوطات، ومن خلاله نستطيع أن نعطي صورة أفضل ودراسة أجدى، ونتائج أقوى، ومحققين أنفع، وعمل تحقيقي أصدق وأصوب.

٧- لم تكن نية المستشرقين سليمة في البحث عن تراثنا وتحقيقه، وقد تكرر خلال البحث ما قام به المستشرقون وما حققوه من كتب عربية وإسلامية، بعضها لا يرقى لكونه حقيق واستوفى.

٢.٤ التوصيات:

١- رغم الجهود الكثيرة والكبيرة والمتسارعة لتحقيق التراث يحتاج الى وقفة حقيقية وتنظيمية من قبل العلماء للمّ شتات تراثنا المتناثر شرقا وغربا والقيام بمسؤولية جادة لتحقيق ما بقي منه.

- ٢- احترام جهود الباحثين الجدد والإفادة منها في تطوير هذا الفن التراثي الاثرائى.
- ٣- إقامة دورات تدريبية لتعريف النشئ الجديد بتراثهم وضرورة تحفيزهم لاهتمام به، والبحث عنه وقبل كل شيء احترامه.
- ٤- تعتبر هذه المقالة البسيطة مشاركة في التعريف بالتراث، ودعوة للأخذ بالمسميات العربية، فاللغة العربية ليست ناضبة أو عاجزة، وفي تراث المسلمين جميع المصطلحات الغربية بمعانيها ومقاصدها إلا أن مسمياتها مختلفة، ومن هذه المصطلحات الاكتناه، وفقه اللغة، وعلم التحقيق.
- ٥- التحقق والتثبت وأخذ المعلومات من مصادرها العربية الأصيلة، والالتفات لتدليس وتغيير الكثير من الحقائق المغلوطة التي وردت عن المستشرقين.
- ٦- إحداث وإيجاد مؤسسة تهتم بحفظ الإنتاج الفكري، يلجأ لها الباحث في الحصول على المخطوطة المراد العمل عليها، لأنه قد يئز ولا يحصل على ما يريد.

هوامش البحث

- ❖ قاسم السامرائي: مؤرخ وباحث عراقي شغل منصب أستاذ متمرس في جامعة لايدن في هولندا، خبير في علم المخطوطات وتاريخها، عمل في عدة جامعات عربية وعالمية له عدة كتب غير كتابه علم الاكتناه العربي الإسلامي، منها: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، التراث الإسلامي المخطوط واهتمام المستشرقين به في جامعات هولندا، الانباء في تاريخ الخلفاء دراسة وتحقيق، هو من مواليد بعقوبة (١٩٤٥) في العراق. فالح الكيلاني، مجلة الديار اللندنية، ٢٠١٥.
- ❖ علم الاكتناه الإسلامي: مسمى لعلم دراسة المخطوطات وهو من ابتكار الدكتور قاسم السامرائي، أراد منه الابتعاد عن الالفاظ والمصطلحات الغربية، والاكتناه مصدر كنه ومعناه سبر غور الأشياء.
- ❖ الآية (٤٨) من سورة العنكبوت

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم
- ١. إحسان عباس وتحقيق التراث الشعري: ١٩٦، ناهدة أحمد، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية جامعة بابل، ع ٣٣، ٢٠١٧.
- ٢. أمالي مصطفى جواد في فن تحقق النصوص، عبد الوهاب محمد علي، ج ١.

٣. أهمية دراسة التاريخ، محمد مصطفى صفوت مجلة الرسالة، ٢٠١٩.
٤. الأدب المقارن: ٢٧٤، طه ندا، دار النهضة العربية، ١٩٩١.
٥. الفهرست للنديم، أحمد رشدي عبد الحكيم، ١٠١٢.
٦. القيمة العلمية لكتاب فرانسوا دي روش "المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي" الدكتور ماحي قندوز، مجلة التراث، ع١٣، ٢٠١٤.
٧. المدخل الى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، فرانسوا درويش، ترجمة ايمن فؤاد.
٨. المخطوطات والتراث العربي، عبد الستار الحلوجي، الدرا المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢، ط١ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. فؤاد: ١٤، ٢٠٠٥.
٩. المستشرقون الالمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، رائد امير عبد الله، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١٤، مج ٨، ع ١/١٥.
١٠. المنهج الأمثل في تحقيق المخطوطات، حاتم صالح الضامن، ١٩٩٩، بغداد.
١١. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان بيروت، ١٨٧٠، ج ١٠.
١٢. تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، عابد سليمان المشوخي، ٢٠١١، معهد المخطوطات العربية، القاهرة.
١٣. تحقيق التراث، عبد الهادي الفضلي، مكتبة العلم جدة، ط١، ١٩٨٢.
١٤. تحقيق النصوص، قيس بهجت العطار، ٢٠١٨، أكاديمية البلاغي لإحياء التراث، مدرسة دار العلم النجف الأشرف، مدونة صدى النجف.
١٥. تحقيق نصوص التاريخ بين القديم والحديث، الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، لبنان بيروت ٢٠٠٦، ط١.
١٦. تحقيق المخطوطات العلمية، عماد عبد السلام رؤوف، ٢٠١٣، مكتبة المخطوطات.
١٧. تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون ط١٩٩٨، ٧، مكتبة الخانجي القاهرة،
١٨. جهود المستشرقين الالمان في تحقيق ونشر التراث الإسلامي، مونة سعيدي، ٢٠١٧، رسالة ماستر جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
١٩. جهود المستشرقين في خدمة التراث العربي الاسلامي المخطوط، رائد امير عبد الله الراشد، ٢٠١٣، ع، ٦٧، مجلة آداب الرافدين.
٢٠. دراسات في علم المخطوطات والبحث البلوغرافي، أحمد شوقي بنين ط٢، ٢٠٠٤، المطبعة الوطنية الداوديات مراكش.
٢١. سيبويه امام النحاة، علي النجدي ناصف ط٢، عالم الكتب، ٢٠٠٩.

٢٢. شمس العرب تسطع ع الغرب، زيفريد هونكة، ط٨، ١٩٩٣، دار الجليل، ١٩٩٤
٢٣. صيحة في سبيل العربية، محمود محمد الطناحي، ١٩٩٩، أروقة الأردن، ٢٠١٤
٢٤. علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي، ٢٠٠٨، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات
٢٥. علم الاكتناه الإسلامي، فيصل الحفيان/ مجلة تراثيات، ٢٤، ٢٠٠٢.
٢٦. علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا، ليندة شقرة، مجلة الكتاب، ٢٠٠٧، ع٣.
٢٧. علم المخطوط العربي، فيصل العلي، مجلة الوعي الإسلامي، اصدار ٧٩، ٢٠١٤
٢٨. فقه اللغة وعلم اللغة والفيلولوجيا مدخلات واصطلاحات، علي حسن عبد الحسين الدلفي، العميد مجلة فصلية عدد خاص بالمؤتمر العلمي العالمي الثاني، ج٢ ٢٠١٤
٢٩. في المخطوطات العربية، السيد السيد النشار، دار الثقافة العلمية الإسكندرية، ١٩٩٧
٣٠. قواعد تحقيق المخطوطات صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت، ط٧، ١٩٨٧
٣١. محاضرات في منهجية تحقيق المخطوط، فؤاد طوهارة، ٢٠١٧، الجامعة الجزائرية.
٣٢. معجم الغني، عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، ط١.
٣٣. معجم لسان العرب، ابن منظور الانصاري، ١٢٩٠.
٣٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ٢٠٠٨.
٣٥. معجم الوسيط، اصدار مجمع اللغة العربية القاهرة، ط٥، ٢٠١١.
٣٦. معجم المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، ١٩٩٤، ط١
٣٧. ملاحظات في علم المخطوطات وتحقيق النصوص، عبد الرزاق الحربي، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية ٢٦ع.
٣٨. مناهج تحقيق المخطوطات لدى العرب والغرب الاتفاق والافتراق، محمود مصري إسطنبول، ٢٠١٣.
٣٩. مناهج تحقيق كتب تراجم النحاة عرض ونقد، حسن خميس الملمخ، جامعة اهل البيت الاردن. مجلة التراث محكمة زيان عاشور في جامعة الجلفة العدد ٦ عام ٢٠١٣.
٤٠. مناهج تحقيق المخطوطات، عباس هاني الجراخ، ٢٠١٠، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط١
٤١. منهج تحقيق المخطوط ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الارقام، اياد خالد الطباع، دار الفكر دمشق، ط١، ٢٠٠٣.

٤٢. منهج تحقيق النصوص ونشرها، نوري حمودي القيسي وسامي مكّي العاني، ١٩٧٥، مطبعة المعارف بغداد.

٤٣. منهج تحقيق النصوص، حازم سليمان الحلي، مجلة مركز دراسات الكوفة.

٤٤. نظرات في تون تحقيق النصوص، محمد بن مبخوت، ٢٠١٩، معهد المخطوطات العربية،

٤٥. هوامش على دفتر التنوير، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي بيروت، ١٩٩٤